وبتوغل في مناطق لبنانية لا وجود لأي قوات فلسطينية أو سورية فيها. وقد ساعد على نجاح هذا التكتيك الاسرائيلي المبعوث الأميركي فيليب حبيب الذي كان يدير من القصر الجمهوري «وساطة» تركز على المطلبين الاسرائيليين، وتتجاهل واقع الاحتلال الاسرائيلي للبنان، وواقع التدمير الذي يرافقه، وواقع قتل المدنيين بالغارات الجوية، مؤثراً في ذلك على بعض رموز الحكم الذين وضعوا ثقتهم بالمسعى الأميركي، وأحبطوا من أجله مساعي دولية عديدة، كان من أبرزها المسعى الفرنسي في مجلس الأمن، والذي تم في النهاية بمعزل عن موافقة السلطة اللبنانية.

هذه المستويات الثلاثة لتحرك الغزو الاسرائيلي في لبنان، تتجاوز مسألة إبعاد القوات الفلسطينية عن مستوطنات الجليل الاسرائيلية إلى أهداف عملية مباشرة ذات بعد استراتيجي، يكمل عملية كامب ديفيد ببعديها الاسرائيلي والأميركي، وينتج عنها:

أولاً: معاهدة «سلام» اسرائيلية ــ لبنانية ممهورة بخاتم الاحتلال وشروطه.

ثانياً: أمل بإحياء مفاوضات الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة يشارك فيها هذه المرة فلسطينيون من المناطق المحتلة، بعد أن يجري اقتناعهم بعدم جدوى الرفض والاستنكاف، بعد أن تم إلغاء منظمة التحرير من الخارطة السياسية.

ثالثاً: الضغط على الأردن في ظل الظروف الجديدة لإقناعها بالاسهام في تكميل عملية كامب ديفيد.

رابعاً: مواصلة الضغط على دمشق لإجبارها على الدخول في مفاوضات تفرض عليها معاهدة مذلة.

وقد استند السعي الاسرائيلي للوصول إلى هذه الأهداف التي تغير خارطة الشرق الأوسط تغييراً جذرياً، إلى تأييد أميركي مطلق تزعمه وزير الخارجية الأميركي الكسندر هيغ، والذي تولى القيام بتغطية يومية لكل تصعيد اسرائيلي، كما تولى الاعلان عن تبني الولايات المتحدة لكل شرط اسرائيلي معلن، مساهماً بذلك في عملية الضغط على القيادة الفلسطينية وعلى الأطراف اللبنانية، لكي لا يكون أمامها من خيار إلا خيار الرضوخ والاستسلام.

ولكن هذا التخطيط الاسرائيلي ــ الأميركي الشامل اصطدم بأوضاع لم تكن محسوبة اسرائيلياً بدقة، أولها وأبرزها، القتال الشجاع أمام آلة عسكرية جبارة، هذا القتال الذي أوقع خسائر كبيرة بين جنود الجيش الاسرائيلي وآلياته، وأطال أمد المعركة إلى وقت أطول بكثير مما كانت قد خططت له اسرائيل. وقد أدى طول المعارك وما رافقها من خسائر إلى تململ واضح داخل أوساط المعارضة البرلمانية، ثم داخل أوساط الجمهور الاسرائيلي الذي أعد نفسه لمعركة محدودة، ثم وجد نفسه أمام نوع من الحرب الشاملة التي تورد له القتلى والجرحى يومياً. أما المعنى العسكري الاستراتيجي لطول أمد الحرب، بين جيش نظامي متكامل وقوات فدائية غير نظامية، فقد لخصه بدقة اسحق رابين رئيس الوزراء الأسبق حين قال: لقد انتهى عهد الحرب الخاطفة، وهو ما يعني بكلمات أخرى، انتهاء عهد ذلك النوع من الحروب الذي تفضله اسرائيل، والذي كانت تحسم فيه المسائل بسرعة وبالحد الأدنى من الخسائر البشرية.

وإلى جانب القتال الشجاع الطويل الأمد، فإن التلاحم الشعبي الفلسطيني ــ اللبناني، كان واقعاً فاجأ قوات الغزو الاسرائيلية، إن على صعيد القتال المشترك، أو على صعيد التغطية السياسية للمواقف الفلسطينية، وبشكل خاص حين اشتد الحصار العسكري على بيروت، وبرزت مطالب اسرائيل باعلان استسلام منظمة التحرير الفلسطينية.